

المحاضرة (04) الإرشاد النفسي في الإسلام

تمهيد:

تداولنا من خلال المحاضرات السابقة النظريات التي ذاع صيتها في الغرب في مجال الإرشاد والعلاج النفسي، والتي اعتمدها في العالم الإسلامي، دون تمحيص ونقد، وإلى ما تحتويه من جوانب لا تتفق مع الدين ومع التكوين الحضاري لمجتمعاتنا، حيث أنها استندت إلى فلسفات وضعية وأفكار روائية، حيث أنها لم تنجح حتى في المجتمعات الغربية نفسها، فقد ازدادت المشكلات السلوكية والانحرافات، وذلك بالرغم من زيادة عدد مراكز الإرشاد النفسي. وعليه ينبغي على الممارسين لمهنة الإرشاد والعلاج النفسي تنقيح تلك الأساليب الغربية، واستنباط أخرى مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإسهامات علماء المسلمين في مجال الإرشاد النفسي.

فالإرشاد والعلاج النفسي الفعال هو الذي يرتبط بثقافة المجتمعات ويتفق مع معتقداتها وقيمها، ونحن نعلم أن الغاية الكبرى من التربية والإرشاد في مجتمعاتنا العربية هي تنمية الإنسان المسلم الصالح الحر، صاحب العقيدة والإرادة الإيمان. ومن خلال هذه المحاضرة سنتناول الإرشاد في الإسلام من خلال التعرف على نظرة الإسلام للطبيعة البشرية، أسباب الاضطراب النفسي في الإسلام، دور المرشد في الإسلام، أهداف الإرشاد وخطواته في الإسلام، وفي الأخير مقارنة بين الإرشاد في الإسلام والإرشاد تبعاً للنظريات الغربية، ونهدف في نهاية المحاضرة إلى الوصول بالطالب إلى:

- ✓ أن يتعرف الطالب على الإرشاد في الإسلام وفلسفته.
- ✓ -تمكين الطالب من توظيف المفاهيم الأساسية للإرشاد في الإسلام .
- ✓ -يتمكن الطالب من فهم أساليب الإرشاد في الإسلام واستخدامها في الميدان.
- ✓ معرفة اوجه الاختلاف بين الإرشاد في الإسلام ونظريات الإرشاد الغربية.

1. فهم الإسلام للطبيعة البشرية:

لقد فهم الإسلام الطبيعة البشرية فهماً عظيماً، يفوق فهم العلوم الحياتية، فقد ذُكر في القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ الإسراء 11، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ الحج 66، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ المعارج 19.

وعلى الإنسان أن يتقبل حياته، فيها السعادة وفيها المُعاناة، فيها النجاح وفيها الفشل. (العيسوي،

2006، ص299)

- ✓ إن الإنسان أفضل كائنات الله.
- ✓ إن الإنسان مخلوق واعٍ ومسؤول.
- ✓ إن الإنسان يحمل معه عنصر الضعف البشري.

- ✓ إن دوافع الإنسان بمثابة قوى وطاقات تُحدد سلوكه وتُحركه لتحقيقها.
- ✓ تحدّث في بناء الشخصية، وأشار إلى النفس الأُمارة بالسوء أو اللوامة والمُطمئنة وهي المثالية.
- ✓ الصراع بين الخير والشر أمر حتمي.

2. الفلسفة الإسلامية:

يظهر جلياً تأثر الفلسفة الإسلامية بالفلسفة اليونانية، حيث حاولوا التوفيق بين الإسلام والتراث اليوناني، ونجد من أبرز العلماء المسلمين:

1.2 الكندي (801-866م): وقد تأثر بأفكار أفلاطون وأرسطو، وقد رأى أن الموت يلحق بالبدن دون النفس.

2.2 الفارابي (870-970م): وله موقف مُشابه لموقف الكندي، وهي أن النفس لا تموت بعد الإنسان، وإنما ترجع إلى خالقها ليُنشئها على قدمت، ويُعاقبها على ما أخرجت.

3.2 ابن سينا (980-1037م): وقد كان أشهر أطباء المسلمين، وقد قسّم النفس إلى ثلاثة أقسام:

- النفس النباتية: وهي التي تقوم بالتغذية والنمو والتكاثر، وهو ما نجده في النبات والحيوان والإنسان.
- النفس الحيوانية: وهي التي تقوم بوظائف الإدراك والإحساس والتخيل والحركة، وهو ما نجده في الحيوان والإنسان.
- النفس الناطقة الإنسانية: وهو ما يخص الإنسان فقط.

4.2 الغزالي (1058-1113م): وقد قسّم النفس بنفس تقسيم ابن سينا، ولقد كان له آراء في علم النفس الاجتماعي.

5.2 ابن رشد (1126-1198م): والنفس عنده خمسة أجزاء هي: القوة ، القوة الحساسة، القوة المتخيلة، القوة النزوعية، القوة الناطقة.

6.2 ابن خلدون (1322-1406م): وله إسهامات عظيمة في علم النفس الاجتماعي، وقد أكد على التدرج في التعليم من السهل إلى الصعب، كما أكد على الترغيب والترهيب والابتعاد على إرهاب الطفل بالمعارف.

3. أسباب السلوك المضطرب في الإسلام:

- البعد عن طريق الله، حيث أن سعادة الإنسان تكمن في التزامه بأوامر الله.
- الذنوب والخطايا والآثام.

- الصراع بين قوى الخير والشر والحلال والحرام.
- ضعف الضمير نتيجة ضعف الوازع الديني والأخلاقي.
- حب الدنيا والتكالب على شهواتها واتباع الغرائز والشهوات.
- الشك والارتياب في الآخرين.
- الغيرة والحسد والحقد. (أبو سعد أحمد، 2009، ص 412-413)

4. من بين الطرق التي يستخدمها المرشد في الإسلام ما يلي:

التربية بالقصة، التربية بالموعظة، الجمع بين الترغيب والترهيب، الإقناع العقلي، استخدام الحوار والنقاش، الإغلاظ والعقوبة، الهجر، استثمار المواقف والفرص، التشجيع والثناء. (أبو السعد، 2009، ص 416-422)

5. المرشد في الإسلام:

المرشد في الإسلام يعمل على ضوء المنهج الإسلامي، يعمل من خلفية علمية تُساعده على معرفة الأشخاص الذين يتعامل معهم وطبيعة نموهم ومشكلاتهم، فطبيعة الانحرافات وأسبابها، وكان المعلم إذا عرف أن تلميذاً لا يُفلح في فن، أشار عليه بتركه والانتقال إلى غيره مما يُرجى فيه فلاحه ونجاحه.

6. الأغراض الرئيسية للاضطراب النفسي:

- ✓ الانحراف عن عقيدة التوجيه.
- ✓ الشعور بالإثم نتيجة ما ارتكبه الإنسان من أعمال وسوس له الشيطان بها.
- ✓ الخوف من العقاب، ويُصاحبه وسواس.
- ✓ القلق والاكتئاب.

7. الوقاية من الاضطرابات النفسية:

وأهم معالم الوقاية من الاضطراب النفسي نجد:

الإيمان بالله تعالى، تقوى الله تعالى، حب الله، خشية الله، شكر نعم الله.

8. عملية الإرشاد العلاجي:

- ✓ إقامة علاقة قوية بين المرشد والمسترشد.
- ✓ مساعدة المسترشد على الاستبصار لمشكلاته.
- ✓ إعلان التوبة.

✓ إعادة تعليم المُسترشد تعاليم الدين الصحيحة.

9. خطوات العلاج النفسي:

- ✓ الاعتراف بالذنب: ويتضمن شكوى النفس من النفس طلباً للتوبة والغفران.
 - ✓ الاستعاذة: ويستعيز فيه الإنسان بخالقه.
 - ✓ التوبة: وهي طريق المغفرة، وتُحرر المُذنب من آثامه وخطاياها.
 - ✓ الاستبصار: الوصول بالمريض إلى فهم سبب شقائه ومُشكلاته.
 - ✓ التعلم: ويتضمن اكتساب مهارات وقيم واتجاهات جديدة، وترويض النفس على ضبط الذات وتحمل المسؤولية والقدرة على تكوين علاقات اجتماعية.
 - ✓ ذكر الله: باعتباره غذاءً روحياً يُحدث الطمأنينة والسكينة.
 - ✓ العبادات: فهي علاجات نفسية، فالصلاة والذكر والصدقات تُطهر القلب والنفس.
- قوة الإرادة: العمل والتوكل على الله. (قويدري، 2005، 78-99)

10. مقارنة بين النظريات الغربية والارشاد في الاسلام:

1.10. النظرة إلى الإنسان:

لقد تباينت نظريات الإرشاد والعلاج النفسي تبايناً كبيراً في نظرتها إلى الإنسان، بين مُغالٍ في بنية الشر عند الإنسان، إلى مُغالٍ في خيرية الإنسان، وهناك من جمع بين الخير والشر وبين العقلانية وانعدام العقلانية، وهناك من اعتبر الإنسان أنه ذو طبيعة مُحايِدة.

والموقف الأول انطلق من أن الإنسان ينطلق من جوانب ترتبط بالشر مثل ما جاء في نظرية التحليل النفسي لفرويد. فقد أكد أن السلوك البشري الذي نراه ما هو إلا حيلاً يُدافع بها الإنسان عن بواعث الشر داخله، والتي تنطلق بها رغباته الجنسية (المُحرمة)، فيحل محلها سلوكيات يرضى بها المجتمع.

أما الموقف الثاني الذي يرى أن الإنسان خيّر بطبعه، فقد نادى به المدرسة الإنسانية التي يأتي كارل روجرز وأبراهام ماسلو في مقدمة بُنائتها، والتمتع لذلك يرى أن خيرية الإنسان هي تصور شخصي لا ينطلق من مصدر معرفي، فقد برر وجود الشر في الإنسان من عمل المجتمع، ولو أن المرء تُرك لكيانه العضوي الذاتي فإن حُكمه على خبراته سيكون سليماً ومُتسقاً، ولا يمرض أو يضطرب نفسياً.

أما الموقف الثالث الذي يعتبر الإنسان يحمل في طبيعته الخير كما يحمل الشر، فقد أغفل هؤلاء المعيار للخيرية أو الشر، ومثالاً على ذلك نجد ألبرت إيليس صاحب نظرية العلاج العقلاني الإنفعالي، فنجده يقول بوجود العقلانية واللاعقلانية في الإنسان، ولكن لا يوجد معيار مُحدد لذلك.

أما الإتجاه الرابع فإن أصحابه يرون خلو الإنسان من الخير والشر، أي أن لا خير فيه، ولا شر فطرياً ولا موروثاً. وهذا الإتجاه تُمثله المدرسة السلوكية، فهي ترى سلوك الإنسان هو نتاج البيئة والخبرات التي يمر بها، إذن هو أشبه بآلة مُبرمجة. (الشناوي، 1994، ص 465-470)

بيد أن الإسلام ينظر إلى الإنسان في إطار الخصوصية التي استحق بها التكريم، وهي نظرة أشمل بكثير مما يمكن أن تحويه نظرية أو مجموعة منها، بل وجميع النظريات التي وضعها الإنسان عن نفسه، فهو مخلوق مُكْرَم، مسؤول مُكلف، وأن فطرته قامت على الخير بيد أنه يقبل الشر أيضاً في طبيعته، وأن معيار ذلك هو الدين، وقد بعث الله الرُّسُل للدعوة والهداية الإصلاح.

2.10. الدوافع:

لا خلاف أن دوافع الإنسان تنشأ من داخله، فهي بمثابة الطاقة التي تُحوّله لسلوك معين وتضبطه. وظهور الدافع يؤدي إلى حالة من التوتر يظهر في صورة فيزيولوجية وفي صورة عقلية وانفعالية وإجرائية، وهناك خلاف قائم بين النظريات حول مفهوم الدوافع وقوتها ومدى سيطرتها.

ففي نظرية التحليل النفسي يُصور فرويد الدوافع في صورة غرائز بيولوجية أولية قسمها إلى غرائز للحياة، يأتي الجنس في أولها، بل جعله المُحرك الوحيد لنمو الفرد وسوائه ومرضه، فرأى أن سلوك الإنسان هو إشباع للحاجات الجنسية بشكل مُباشر أو غير مُباشر، ورأى أن الدين والأخلاق مجرد إضافات اصطناعية يُحاول بها البشر الدفاع عن التهديد الذي يُصيبهم بالتعبير عن الرغبة الجنسية.

وقد جاء روجرز يتحدث عن دافع جديد للحياة، وهو تحقيق الذات التي ينشأ عنها حاجة إلى تقدير ذاتي، وحاجة إلى تقدير الآخرين، هكذا يربط روجرز حياة الإنسان بنفسه كفرد غايته الأولى والأخيرة هي تحقيق ذاته ومُعاشيته للخبرات التي تُحقق ذلك.

أما بيرلز في العلاج الجشطالتي فقد أضاف غريزة لا تقل أهمية وهي غريزة الجوع، وهذا الاهتمام يُمثل منظراً يهتم بالجوانب البيولوجية تاركاً الجوانب الروحية العليا.

في حين أن الإسلام رأى أن الغاية الوحيدة من خلق الإنسان هي عبادة الله سُبحانه وتعالى، وأن جميع الحاجت تقع تحت هذه الغاية، وقد حدد لنا ضوابط لهذه الدوافع.

3.10. نمو الشخصية:

ترى نظرية التحليل النفسي أن نمو الشخصية تفاعلٌ أساسه الصراع والإحباط وآليات الدفاع، وهي التي تسمح بنمو الشخصية، في حين أن النظرية السلوكية ترى أن الشخصية صورة سلوكيات يقوم بها الفرد بشكل مُتسق في مواقف معينة.

وإذا رجعنا إلى نظرية الذات وجدنا أن الشخصية هي الصور التي نراها للذات، وبالنسبة لـ **لقلاسر** فإن الشخصية هي هوية الفرد التي تحتاج في صياغتها إلى إشباع حاجات الحب والأهمية؛ في حين أن أصحاب المدرسة المعرفية يرون أن الشخصية هي أفكار وتصورات. أما الشخصية من منظور إسلامي فهي شخصية ذات بُنية مُركبة، يتفاعل فيها الفرد بين جوانب النفس وحالاتها الأمانة واللؤامة والمُطمئنة وصولاً إلى إحدى الحالتين، إما الأمانة بالسوء أو مُطمئنة.

4.10. اضطراب الشخصية:

اختلفت النظريات في تفسيرها لاضطراب الشخصية، فنجد مثلاً **فرويد** يرى بأن سبب الاضطراب هو الصراع القائم في نفس الإنسان بين جوانب الشخصية "الهُو" و"الأنا" و"الأنا الأعلى". أما السلوكية فهي لا تُفرق بين السواء والمرض، فكلاهما استجابات تعلمها الفرد من البيئة. أما إنسانية **كارل روجرز** يُقر بأن اضطراب الشخصية هو عدم الانفتاح بوعي على الخبرات التي لا تتوافق مع ذاته، فيذكرها أو يُشوِّهها.

أما المعرفية فترجع الاضطراب إلى تشوهات في التفكير والتصورات، أما في الدين الإسلامي فالمعيار في تحديد الاضطراب هو الانحراف عن العقيدة.

5.10. الإرشاد والعلاج:

حينما نبحث في نظريات الإرشاد والعلاج النفسي المتنوعة، نجد أن عملية الإرشاد أو العلاج وأساليبه تُبنى على ما تُقرره النظرية، أو بالأحرى واضعها من افتراضات حول طبيعة الإنسان وحول تطور الشخصية، وحول نشوء الاضطراب لدى المُسترشد.

فمثلاً المدرسة السلوكية، عملية الإرشاد ما هي إلا عملية تعلُّم وتعليم، وكأن المُسترشد هنا ليس له دور سوى أنه صاحب السلوك، أي أنه الكائن الذي تصدُر عنه الاستجابة، ولا دور للعقل أو المشاعر.

أما النظرية المعرفية فهي ترى أن عملية الإرشاد يجب أن تبدأ من تصحيح الأفكار والتصورات غير المنطقية، وتبقى هنا مشكلة كيف نحكم على أنها أفكار منطقية أو غير منطقية.

لكن لو نظرنا إلى الإرشاد الديني، فهو يرى أن تصحيح السلوك يكون من خلال تصحيح مفهوم الشخص للدين، وذلك من خلال العودة للدين لاعتبار أن الإنسان مُكلف ومسؤول، ويمكن استخدام عدة أساليب تم ذكرها في مُحاضرات سابقة.

6.10. أهداف الإرشاد:

تختلف أهداف الإرشاد من نظرية إلى أخرى.

ففي نظرية التحليل النفسي نجد أن الهدف من الإرشاد هو حل الصراع القائم بين الشعور واللاشعور. أما النظرية السلوكية فهدفها تعديل السلوك. أما الهدف من الإرشاد الجشطالتي فهو زيادة الوعي والاتصال بالبيئة، وزيادة المسؤولية وتقليل الاعتماد على البيئة. أما الهدف من الإرشاد الديني فهو يعتمد على هذه الأهداف، ولكن في الإطار الإسلامي.

7.10. دور المرشد المُعالج:

يختلف دور المرشد المُعالج من نظرية إلى أخرى.

تباينت نظريات الإرشاد والتوجيه في الدور الذي يقوم به المرشد والمُعالج، فيلعب دور المُعلم في المدرسة السلوكية، ودور الصديق الرفيق المُستمع لا يفعل شيئاً أكثر من توفير جو دافئ للعلاقة الإرشادية، ويلعب دور الباحث عن الأخطاء في التفكير في المدرسة المعرفية. (أبو السعد، 2009، ص 416-422)

والباحث المُطلع في المصادر الإسلامية القرآن والسنة، بوسعه أن يتعرف على عديد من النماذج الإرشادية، مصدره رباني يعتمد على التوجيه العملي.

أسئلة النشاط التقويمي:

-كيف ينظر الاسلام الى الطبيعة البشرية؟

-ماهي خطوات الارشاد في الاسلام؟

- ماهي اسباب الاضطراب النفسي في الاسلام؟

-من خلال المقارنة بين الارشاد في الاسلام و الارشاد الغربي ماذا يمكن ان تستنتج؟